بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تمهيد

كان السلاجقة مجموعة من قبائل الأتراك الذين عرفوا باسم (الغز)، وكانت هذه القبائل تسمى (الأوغوز)، ثم خففت هذه النسبة فصارت (الغز)، وقد بدأت هذه القبائل تهاجر من أقصى التركستان في خلال القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية تحت ضغط ظروف قاهرة، كغلبة قبائل أكثر قوة عليها، وسيطرتها على أراضيها أو سوء الحالة الاقتصادية، خصوصًا إذا ما كثر عدد أفراد القبائل، فعجزت موارد الرزق عن كفايتهم أو حدث قحط جعل هذه الأماكن لا تصلح لاستمرار الحياة فيها، وقد يممت القبائل التركية المهاجرة وجهها شطر الغرب، وحاولت الاستقرار في إقليمي ما وراء النهر وخراسان.

وأخذ التاريخ يردد اسم السلاجقة منذ أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وكانت طوائفهم حينذاك تسكن الهضاب القريبة من بحيرة خوارزم، فتنزل بالقرب من السواحل الشرقية لبحر قزوين (أو بحر الخزر)، وفي الهضاب المحيطة بنهري سيحون وجيحون، وكانت هذه المساكن تقع بين بلاد ما وراء النهر، ومنازل طائفة من الأتراك المسلمين تسمى (القرلق).

وقد أطلق على هذه القبائل التركية اسم (السلاجقة) نسبة إلى رئيسها سلجوق بن دقاق (أو تقاق) كلمة تركية معناها (القوس الجديد)، وكان لا يعرف لها اسم خاص قبل تولي سلجوق هذا رئاستها، ويبدو أنه هو الذي جمع شملها ووحدها تحت زعامته، ثم قادها إلى تلك المنازل في عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، فنسبت إليه وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده من بعده.

obeikandl.com

obeikandl.com

وكانت منازل السلاجقة -في ذلك الوقت- تجاور ممتلكات السامانيين والخانيين والغزنويين، وهم من الدول الإسلامية السُّنية، فأدى جوار السلاجقة لهم إلى اعتناقهم الإسلام، وتعصبهم للمذهب السني الذي يرعاه الخليفة العباسي في بغداد، ويسر لهم اعتناقهم الإسلام فرصة التقرب من الحكام المجاورين لهم، والتدخل أحيانًا في المنازعات التي تثور بينهم.

وقد استفاد زعيمهم سلجوق من مساعدته للسامانيين فأذنوا له بالمرور في بلادهم والاستقرار بطوائف السلاجقة بالقرب من شاطئ نهر سيحون واتخاذ مدينة (جندة) قاعدة له.

ثم أخذ السلاجقة منذ أواخر القرن الرابع الهجري يجنحون إلى الاستقرار بالقرب من موارد المياه، حيث توجد الأراضي الخصبة وتكثر المراعي اللازمة لدوابهم، فيطيب العيش لهم ويحلو.

وبدأ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، والسلاجقة يستقرون في بلاد ما وراء النهر بعد أن تمت هجرتهم من إقليم تركستان، وكانت الدولة السامانية قد انهارت في عام ٣٨٩هـ/ ٩٩٨م، فتوزعت أراضيها بين الخانيين والغزنويين، وكانت منازل السلاجقة تتركز في الشتاء حول (نور) بالقرب من بخارى، وتتجمع في الصيف حول (صغد) بالقرب من سمرقند.

وكان السلاجقة عنصرًا جديدًا في تلك البلاد يختلف عن عنصر السامانيين في أنهم لم يألفوا حياة المدن والاستقرار من قبل، بل عاشوا حياة تغلب عليها سمات النداوة من ميل إلى التنقل والارتحال طلبًا للرزق، وانتجاعًا لمواطن الكلأ، فكانت جذور الحياة القبلية راسخة في أعماق نفوسهم مما أثر في دولتهم وفي حاضرهم ومستقبلهم أيما تأثير، فقد اعتمد سلاطين السلاجقة على القبائل التركية اعتمادًا كبيرًا، وكوَّنوا من أفرادها جيوشهم، وشجعوا

القبائل السلجوقية على الوفود إلى إيران وغيرها من الأقطار الإسلامية.

وكان المظهر القبلي يغلب على سلاطين السلاجقة الأولين، فكانوا غير مثقفين مما جعلهم في حاجة ماسة إلى كثير من الموظفين لاستعمالهم في المهام المختلفة، فبرزت طبقة الموظفين، وازداد نفوذ بعض أفرادها تبعًا لأهمية مناصبهم أو لصلتهم بالسلطان السلجوقي، وكان من أبرز أفراد هذه الطبقة الوزراء والحجاب، وقد استطاع هؤلاء أن يلعبوا دورًا بارزًا موجهًا في كثير من الأحداث السياسية وغير السياسية، بل إنهم استطاعوا أحيانًا أن يسيطروا على سلاطين السلاجقة، ويوجهوهم وفق إرادتهم.

كما أثرت غلبة النظام القبلي على السلاجقة في سلاطينهم فجعلتهم لا يهتمون بمظاهر الملك، فألغوا ديوان البريد، ولم يحاولوا الاستعانة بالحكماء والعلماء كثيرًا، بل غلبت عليهم الصنعة العسكرية، وساعد على ذلك وجود كثير من القبائل السلجوقية في المدن الرئيسية في إيران والعراق، وقد أدت قوة النظام القبلي إلى إثارة الفتن والقلاقل في كثير من مراحل تاريخ السلاجقة، فقد كانت القبائل تشعل نيران الفتن إذا حرم السلاطين أفرادها من المرتبات التي يؤدونها لهم، فتزيد الحالة في الدولة سوءًا واضطرابًا.

غير أن بداوة السلاجقة جعلتهم يشغفون بالمباني الفخمة والنقوش الجميلة واللوحات المزخرفة، فقد كانت مثل هذه الأشياء تبهر أنظارهم، وترضي أذواقهم وتسد ما في أنفسهم من فراغ، وقد أثر هذا في الفنون فراجت رواجًا ملحوظًا في عصرهم، فارتفعت فنون النقش والتصوير والصنعة والمعمار، فكان السلاجقة عامة يعشقون الفنون الجميلة ويرعونها، وكان سلاطينهم يحمون الفنون، ويشجعون رجالها.

كما أثرت بداوة السلاجقة في تعصبهم الشديد للإسلام بعد اعتناقهم له،

obeikandl.com

وميلهم المفرط إلى أهل السنة والجماعة بعد اتبعاهم المذهب السني، مما أثر في تصرفات السلاجقة فجعلهم يظهرون الولاء للخليفة العباسي في بغداد، ويحترمون أئمة الدين احترامًا شديدًا، ويميلون إلى المتصوفة ويجلون شيوخهم، فانتشر التصوف في عصرهم، وظفرت طوائف الصوفية باحترام الناس والحكام، فارتفع شأن رجالها، وعظم تأثيرهم في حياة الناس.

وهكذا أثرت غلبة العنصر السلجوقي وبداوة السلاجقة وغلبة النظام القبلي عليهم في كثير من مظاهر الحياة، وفي مختلف نواحي الحضارة في دولتهم، وشكلت حاضرهم ومستقبلهم، وخلَّفت آثارًا واضحة في حياة الناس في إيران والعراق وعصرهم.

فلهذا حرصتُ كل الحرص على وضع مصنف أو كتاب عن دولة السلاجقة منذ ٢٠ عامًا، وللأسف قمتُ بإدخال بعض التطورات والأحداث عليه لظهور عدد من المصنفات والمصادر والمراجع والمخطوطات، وأسال الله العون والمغفرة.

مقدمه

الدكتور يحيى بن حمزة الوزنه

مكة - المملكة العربية السعودية

١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

obeikandl.com